جامعة القدس المفتوحة

د. وليد قمحاوي

القاهرة - 27 - 28 اوكتوبر 1987

جامعة القدس المفتوحة جامعة متطورة للتعلّم عن بعد، تهدف الى توفير الدراسات العليا والتدريب الفني لاكبر عدد ممكن من ابناء فلسطين والدول العربية، مراعية ظروفهم الخاصة، واحتياجات مجتمعاتهم الآنية والمستقبلية، وفي تعاون وتكامل مع مؤسسات التعليم العالي في الوطن المحتل وسائر الاقطار العربية، مستفيدة في ذلك كله من التقدم التكنولوجي الهائل في وسائط نقل المعرفة.

وتنبثق فلسفة جامعة القدس المفتوحة من ان التعليم حق اساسي لجميع الناس على اختلاف اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية، لذلك يجب توفيره بصورة اكثر كفاية وعدلا لجميع الافراد الراغبين فيه، لا يحول بينهم وبينه عوامل السن والمؤهل الدراسي والامكانات المادية وغيرها من العوائق. والشعوب العربية عموما بحاجة الى مثل هذه الجامعة التي تأخذ في الاعتبار جميع الظروف والملابسات التي يعيشونها، مستفيدة من احدث ما وصل اليه العلم من نتائج الابحاث بعد تكييفها في ضوء الواقع والتجربة.

ان عمر فكرة جامعة القدس المفتوحة الآن 11 عاما، اي منذ سنة 1976، عندما اتفق الصندوق القومي الفلسطيني ومنظمة اليونسكو على عمل دراسة جدوى انشاء جامعة فلسطينية مفتوحة، كما وافق الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي على تمويل تلك الدراسة، التي تمت وأُقرّت من قبل جميع الأطراف في اواخر 1980. وبدأ العمل لاقامة الجامعة في اواخر 1985.

كانت القضية الاولى هي تسمية الجامعة وتحديد ميدان نشاطها الحالي والمستقبلي. وبدراسة الأمر من كل جوانبه الاكاديمية والفنية والتكلفة، تبين ان الجامعة المنشودة يستحيل عليها ان تكون اقليمية فلسطينية، وانما يجب عليها ان تنطلق منطلقا قوميا عربيا. وكان القرار ان التسمية الوحيدة لهذه الجامعة هي "جامعة القدس المفتوحة"، باعتبار ان القدس هي للعرب اجمعين، وهي رمز لجميع التحديات التي تواجه امتنا العربية. والقدس بالنسبة لجميع العرب تعني ما قاله شكسبير "ان نكون او لا نكون".

وكانت القضية الثانية التي واجهتنا هي ذاتها التي واجهت كل جامعة مفتوحة في العالم، وهي الرفض التلقائي للتغيير، والمقاومة الطبيعية لكل تجديد، على جميع المستويات، سواءا على مستوى صانعي القرارات او من قبل المؤسسات الموجودة او حتى الجماهير التي تصورت ان الجامعة المفتوحة هي التعليم بالمراسلة. وكان الحل لذلك هو وضع دراسات وتعريف الناس بالفروق الكبيرة بين التعليم بالمراسلة والتعلّم عن بعد.

وكانت القضية الثالثة هي تحديد المواضيع التي يجب تدريسها في جامعة القدس المفتوحة. وكان لا بد لذلك من دراسة احتياجات المجتمع. ووجدنا ان لدينا من حاملي الشهادات العليا في الطب والهندسة والصيدلة والانسانيات ما يفي بحاجتنا ويزيد. وانما نحن بحاجة الى خريجين جامعيين في حقول ومجالات عملية، هناك نقص كبير فيها وطلب كبير عليها. وحددنا البرامج الخمس، مع المقررات التأسيسية.

برامج الجامعة التعليمية والتدريبية

أ- أسس اختيار البرامج

منذ البداية، وضعت الجامعة نصب عينيها تحديد ما يناسب الاحتياجات التنموية للمجتمع الفلسطيني بشكل خاص،والمجتمعات العربية بشكل عام،من البرامج الدراسية. وهذه البرامج الخمسة هي:-

1 الأرض والتنمية الريفية
2 البيت والتنمية الأسرية
3 التكنولوجيا والعلوم التطبيقية
4 الادارة والمبادرة الفردية
5 التربية وتأهيل المعلمين

ب- الفلسفة العامة في بناء هذه البرامج

اولا: خرجت الجامعة عن التقسيم التقليدي لميادين العلم والمعرفة، وخرجت بالتالي عن تسمية برامجها بالتسميات التقليدية (مثل كلية الاداب، وكلية العلوم، وكلية الزراعة، والهندسة ... الخ) لانها رأت ان على الخريج ان يحيط بعلوم وبمعارف وبمهارات تمكنه من ادراك الواقع الذي يعمل فيه في جميع ابعاده الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية من جهة، وتمكنه ايضا من توظيف معارفه ومهاراته توظيفا عمليا ومباشرا في المجتمع الذي يعمل فيه من جهة اخرى .

لذلك رأت الجامعة ان البرامج التي تقوم على ترابط مختلف العلوم والمعارف وتداخلها تفي بهذه الاغراض اكثر من البرامج التقليدية في الجامعات الاخرى.

ثانيا: ان ينطلق كل برنامج من هذه البرامج من الممارسات والتقاليد السائدة والمتوارثة، وان يبيّن وسائل واساليب تغيير او تطوير هذه الممارسات والتقاليد على ضوء ما وصلت اليه العلوم المعاصرة وتطبيقاتها التكنولوجية.

ثالثا: ان يصل كل برنامج من هذه البرامج في مضامينه العلمية والتكنولوجية الى المستويات العالمية المشهود لها بالتفوق.

رابعا: ان يركز على النواحي التطبيقية لدرجة تضمن تنمية قدرات الخريج العملية ليكون مؤهلا للعمل بكفاءة في مجالات العمل التي تدرب عليها، وتضمن له ان يتحرر من ربط التعليم بالشهادة الجامعية كهدف، وكذلك الفصل بين الشهادة الجامعية والوظيفية. أي تهيئة الطالب للاستخدام الذاتي والمبادرة الفردية والعمل الميداني.

ج - **الفلسفة الخاصه للبرامج**

اولا: **البرنامج التأسيسي**

1 **الثقافة العامة**

ترى الجامعة ان وعي الطالب المثقف يقتضي الالمام بمعالم الفكر البشري وبمنجزاته في مجالات الحياة المختلفة الفكرية والعلمية والتكنولوجية والاجتماعية والفنية، وتقتضي ايضا ان يتعرف على معالم الفكر العربي الاسلامي ومنجزاته في مختلف مجالات الحياة. كل ذلك ليكون على علم بأهم القضايا في هذه المجالات، وليشارك بوعي وتفتح عقلي في تطوير مجتمعه.

كما رأت الجامعة ان يتضمن هذا البرنامج ادراك الطالب لطبيعة التحديات التي تواجها الامة العربية في هذا العصر، وللجهود القائمة والمتوقعة في مواجهة هذه التحديات ليشارك من موقعه في هذه الجهود.

وكذلك رأت ان يكون على علم بتطبيقات التكنولوجيا الحديثة في مجالات الحياة المختلفة ليعرف كيف يتعايش معها، وكيف يشارك في توطينها في مجتمعه.

2. **ادوات التعلم**

وادراكا من الجامعة بالعادات السلبية التي كان الطالب قد اكتسبها في المرحلة المدرسية، وادراكا منها بضعفه في استخدام اللغة للاستيعاب والتعبير، رأت الجامعة ان يبدأ برنامج كل طالب فيها أيا كان مجال تخصصه باكتساب المهارات اللازمه للتعلّم الذاتي. فوضعت مقرر تعلّم كيف تتعلم كأول ما يتعلمه الطالب في هذه الجامعة.

ووضعت كذلك مقرّرين لرفع مستواه في اللغتين العربية والانجليزية: في العربية لأنّ لغة التعليم في الجامعة هي العربية، وفي الانجليزية ليتمكن من قراءة المراجع الحديثة غير المتوفرة بالعربية.

هذا بالاضافة الى مقرّرات تأسيسية اخرى يكتسب بها الطالب التعامل مع الحاسوب ومع الاحصائيات، وكذلك مبادىء المنهج العلمي في البحث وفي التفكير.

هذا البرنامج التأسيسي في مجال الثقافة العامة وفي مجال المهارات اللازمة للتعلّم الذاتي، برنامج مطلوب من كل طالب وطالبة أيا كان ميدان تخصصه.

ثانيا: **برنامج الأرض والتنمية الريفية**

عبارة "الأرض" تحمل معان كثيرة بالنسبة للانسان العربي الفلسطيني، واولها هو حسن استغلالها لأغراض الصمود. ومن هنا كان هذا البرنامج من اهم برامج الجامعة، خاصة و أنه يهدف الى تزويد ابناء الريف بالتعليم الجامعي، وتشجيعهم على البقاء في قراهم و بناء مجتمعاتهم الريفية، بدلا من الهجرة الى المدن وما تؤدي اليه من مشاكل.
وهذا البرنامج يشمل العلوم والمعارف والمهارات اللازمة لافضل استغلال للارض على المستوى الفردي، وعلى مستوى المجتمعات الريفية المحلية. فيشمل جميع العلوم المتعلقة بالتربة وبحسن استخدامها، وتلك المتعلقة بالحيوانات المحلية وتربيتها. كما يشمل ايضا تنظيم جهود الأهالي المحليين في منظمات تعاونية انتاجية واستهلاكية، وجميع ما يحتاج اليه هؤلاء الاهالي في رفع مستوياتهم المعيشية، بما في ذلك الصناعات الريفية التقليدية والمتطورة.

ومن اهم شروط النجاح في هذا البرنامج والتخرج ان يتقدم الطالب بمشروع عملي في آخر مراحل تعلمه قابل للتنفيذ.

ثالثا: **برنامج البيت والتنمية الأسرية**

كيف تصير الأسرة وحدة انتاجية تنتج الكثير مما تحتاج اليه من مأكل وملبس ومسكن؟ وكيف تصير الاسرة وحدة تربوية يدرك فيها الآباء والامهات ادوارهم التربوية والتعليمية لابنائهم؟ وكيف تصير وحدة فعالة في المجتمع المحلي الذي تعيش فيه بالمشاركة الايجابية في عمليات الانتاج والاستهلاك والمشاركة في تحسين مستويات المعيشة الصحية والثقافية وغيرها؟

هذه هي الاهداف التي بُني هذا البرنامج من اجلها. لذلك يشمل علوما ومعارف ومهارات كثيرة ومتنوعة منها الاقتصاد المنزلي وتربية الاطفال، مشاكل التغذية والصحة، ومعرفة الصناعات المنزلية المختلفة، كذلك المهارات اللازمة لصيانه الآلات والأدوات المنزلية. هذا بالاضافة الى العلاقات داخل الاسرة، وفيما بين الأسرة ومجتمعها. كل ذلك من اجل بناء الأسرة المتماسكة المنتجة.

رابعا: **برنامج التكنولوجيا والعلوم التطبيقية**

كيف نجمع بين المعارف النظرية للعلوم التكنولوجية والمهارات التطبيقية في مجتمعاتنا المحلية؟ وما هي هذه العلوم المطلوبة، وما هي المهارات المطلوبة في مجالات الميكانيكيا والطاقة والالكترونيات والمعلوماتية؟ وكيف يتم توطين هذه العلوم والمهارات واستخدامها محليا لتلبية حاجات المجتمع؟

كانت هذه الاهداف وراء بناء وتصميم مناهج هذا البرنامج ومواده التعليمية والتدريبية. ويحتاج هذا البرنامج اكثر من غيره الى مشاغل ومختبرات للتركيز على تنمية المهارات العملية. ولذلك ستحرص الجامعة على توفير هذه المشاغل والمختبرات بالتعاون مع الجامعات التقليدية الموجودة.

والتركيز في هذا البرنامج هو على تخريج عاملين ميدانيين في المجالات الهندسية والتكنولوجية المختلفة، وليس مهندسي تصميم عملهم في المكاتب.

خامسا: **برنامج الادارة والمبادرة الفردية**

ان ضعف الادارة في اقطار العالم الثالث من الاسباب الهامة في تخلفها. لذلك يهدف هذا البرنامج الى جعل اتقان الادارة اساسا في بناء المؤسسات العامة والخاصة وفي تطويرها. ~~الاهتمام بهذه المؤسسات~~ كان ~~الهدف~~ هذا وراء تصميم مناهج هذا البرنامج وبناء مقرراته التعليمية والتدريبية. وبالاضافة الى الالمام العملي بالاصول وبالاجراءات الادارية والمالية والقانونية والاقتصادية وادارة القوى البشرية وتدريبها، سيحرص هذا البرنامج على التدريب على ادارة المشاريع والبرامج الخاصة لتشجيع المبادرات الشخصية في مجالات الانتاج والتسويق والخدمات.

برنامج التربية وتأهيل المعلمين

من المعروف الآن ان مستوى التعليم في المراحل المدرسية بحاجة شديدة الى التحسين.

وبما ان الجامعة لا تملك القدرة على تغيير المناهج والكتب المدرسية في المراحل المدرسية ارتأت ان المجال الوحيد الذي يمكن ان تتدخل فيه لرفع مستويات التعلم هو تدريب المعلمين تدريبا يؤهلهم ليكونوا هم العنصر الاساسي والفعال في تحسين التعلّم في هذه المراحل الحاسمة في حياة الطالب.

لذلك رأت الجامعة ان يشمل البرنامج ~~التدريب~~ بالاضافة الى معرفة استعدادات الاطفال في التعلم في مراحل اعمارهم المختلفة، ~~وبالاضافة الى معرفة تنشيط قدراتهم العقلية والوجدانية بنشاطات عملية~~ تمكن المعلم من ادراك عيوب الكتاب المدرسي والتعويض عنها بربط المناهج المدرسية بنشاطات عملية تنمي في التلاميذ قدراتهم العقلية، وتنمي فيهم وتعودهم على التعلم الذاتي وكيفية مواجهة المشاكل وحلها.

ويشمل هذا البرنامج برامج فرعية متخصصة لتدريب فئات المعلمين في رياض الاطفال، وفي المرحلتين الابتدائية، الدنيا والعليا، واخرى لتأهيل الجامعيين في المواضيع المدرسية (كالعلوم والرياضيات والعلوم الاجتماعية واللغات) تأهيلا تربويا.

3 الخاتمة

وأخيرا ستكون الجامعة قد نجحت في رسالتها اذا هي حققت الاهداف التالية:

اولا: ان يؤدي التعليم والتدريب فيها الى الرغبة في انشاء او في تطوير الاستخدام الذاتي بدلا من ان يؤدي كما هو سائد الى الوظيفة الحكومية.

وان يرتبط التعليم الجامعي بالاحتياجات التنموية التربوية والاقتصادية والاجتماعية وبتوفير المهارات التكنولوجية المطلوبة في مجتمع معاصر وحديث.

ثانيا: ان يؤدي التعليم والتدريب في هذه الجامعة الى الرغبة في العمل الجماعي والى الالتزام بأخلاقيات هذا العمل في تنمية مجتمعاتنا.

ثالثا: ان يؤدي الى بناء انسان عربي يدرك ما تواجهه امته من تحديات ويعرف كيف يشارك في التصدي لها.

د. وليد قمحاوي
رئيس ـ جامعة القدس المفتوحة